إعداد الدكتور / إبراهيم محمد شريف

أستاذ أصول التربية المشارك

مدير مركز الدراسات التربوية والمناهج

كلية التربية – جامعة نيالا

ت : ٠٩١٥٩٣٦٢٥٣

ملخص الدراسة :

هدفت الدراسة إلى :

١- معرفة مفهوم إسلامية المعرفة .

٢- توضيح آراء بعض العلماء المسلمين من العلوم الغربية .

٣- إبراز مبررات قيام علم نفس إسلامي .

٤- معرفة الصعوبات والعقبات التي تقف أمام علم النفس الإسلامي .

٥- الكشف عن العلاقة بين علم النفس الحديث أو المعاصر وعلم النفس الإسلامي والترابط بينهما .

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي حيث قام الباحث بمسح موضوع الدراسة من خلال الاطلاع على أدبيات الموضوع وكتابات المفكرين وآرائهم .

تطرق الباحث للموضوع من خلال الإجابة على خمسة أسئلة وكانت النتائج علي النحو التالي :-

١/ تعددت مسميات التأصيل الإسلامي للمعرفة فمنها (أسلمة العلوم) و(إسلامية المعرفة) و (التوجيه الإسلامي للعلوم) أو (توجيه العلوم

الإنسانية وجهة إسلامية) ومن هذه العلوم علم النفس بكل فروعه والذي انبثق من أصول الإسلام ومفاهيمه العقدية وقد ظهر هذا المفهوم في نهاية القرن العشرين .

٢/ تباينت مواقف العلماء المسلمين من العلوم الغربية فمنهم من وقف منها موقفاً سلبياً وآخرين دعوا إلى التغريب والأخذ بكل أسباب الحضارة الغربية خيرها وشرها وفئة ثالثة دعت إلى التوفيق بين الحضارتين وهنالك فئة رابعة تدعو إلى الاحتفاظ بما جاء في الكتاب والسنة والاستفادة من إنجازات الغرب التي لا تتعارض مع الدين وبذلك تعددت المواقف .

٣/ نتيجة للتخبط الذي وقع فيه علماء النفس الغربيين في فهم النفس البشرية والأساليب القاصرة في فهم تلك النفس والفلسفة الخاطئة التي انتهجتها استدعى كل ذلك إلى تبني إسلامية المعرفة لأن الوحي مصدر من مصادر المعرفة .

٤/ تواجه علماء النفس المسلمين عدة أمور منها عدم المزاولة بين العلوم المعرفية والإسلامية وتعظيم التراث وعدم تعمق علماء المسلمين في مواد علم النفس الغربي وجهل البعض منهم بالمفهوم الإسلامي .

٥/ إن النتاج الفكري الغربي ليس كل ما فيه لا يصلح لنا بل علينا معرفة الأسس التي قام عليها علم النفس وموضوعاته ومحتوياته كل ذلك يساعدنا في معرفة وتحديد ما يتلائم مع عقيدتنا ؛ لذلك لا يعني بالضرورة رفض كل نظريات علم النفس الغربي وأن يظل الحوار الحضاري أو الحوار مع الآخرين قائماً وتوسيع دائرة التفاهم وإبلاغ رسالة الإسلام إلى العالم وذلك بأفضل الوسائل مع مراعاة أدب الحوار وإتاحة الفرصة لتبادل الرأي للوصل إلى تفاهم وتعاون مشترك في ضوء العقيدة الإسلامية . وختم الباحث الدراسة بالتوصيات والمقترحات .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن الحديث عن الإنسان عامة والنفس الإنسانية على وجه الخصوص يمثل في حقيقته معضلة المعضلات حيث تحدث عنها الفلاسفة وعلماء النفس وأخضعوا النفس الإنسانية لمناهج التحليل وفق

مختلف المدارس ووفق مختلف المناهج والواقع أن علم النفس الحديث بمدارسه المختلفة لم يتوصل حتى الآن إلى تعريف جامع مانع للنفس البشرية ورغم أن هناك الكثير من التعريفات إلا أنها جميعاً تناقض بعضها بعضاً حتى لتظهر آخر الأمر قاصرةً معرضة للنقد.

ومعلوم أننا لا نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهماً واضحاً بدون أن نفهم حقيقة جميع العوامل المحددة للشخصية سواء أكانت مادية أو اجتماعية أو ثقافية أو روحية أما الاقتصار على دراسة العوامل الجسميةالبيولوجية والعوامل الاجتماعية والثقافية فقط وإهمال أثر الجانب الروحي فمن شأن ذلك أن يعطينا صورة غير واضحة وغير دقيقة للشخصية .

إن كثيراً من العاملين في حقول الفكر والمعرفة يرون أن أزمة المسلمين الفكرية اليوم تتمثل في غياب المنهج ؛ لأن الأزمة ليست بافتقاد المنهج ، فالمنهج موجود ومعصوم لكن المشكلة افتقاد وسائل الفهم الصحيحة وأدوات التوصيل وكيفية التعامل معه .

وفى علم النفس الاجتماعى دعوة صادقة إلى التعمق في طبيعة الإنسان البشرى ودوره ووظيفته في الحياة الدنيا ومن هنا وجب على دارس العلوم الإنسانية على وجه العموم وعلم النفس على وجه الخصوص أن يتفهم الطبيعة الإنسانية للنفس البشرية ، حتى تنطلق دراساته عن فهم واقعى وصحيح وشامل للنفس البشرية .[1]

مشكلة الدراسة :

إن علماء النفس المعاصرين يريدون أن يخضعوا النفس لمناهج العلوم الوضعية والتجريبية مستهدفين الوصول إلى تعميمات يمكن بها تفسير السلوك الإنسانى تفسيراً مادياً مثل ما يجرى على المادة الصماء

[1] محمد محمود محمد : علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام ، دار الشروق للطباعة والنشر ، ط١ ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٤م ، ص ١٢ .

والموضوعات الحسية والأشياء الجامدة التى يمكن أن تخضع للتجريب المعملى من خلال دراسة النفس دراسة جزئية غير متكاملة[1]

فقد ثبت بما لا يحصى من الأدلة أن الغرب مع دعواه المنهجية والعلمية ودعواه في التجرد و الموضوعية إلا أنه لم يلتزم بذلك حيث حصر التجريبيين العلم في التجربة وهذا الحصر غير علمي وذلك لأن التجربة ليست سوى مصدر من مصادر العلم وليست هي المصدر الوحيد وهي مصدر لنوع علم بعينه هو العلم بالمحسوس والوجود ليس هو المحسوس وحده وإنما الوجود محسوس وغير محسوس وشهود وغيب وإدعاء أن المحسوس وحده هو العالم وهو المعلوم هو إلحاد لا علم .[2]

إن رؤية الإسلام إلى الشخصية في ضوء الاتجاه الجديد الذي يتبناه كوكبة من علماء النفس المسلمين من أجل إقامة هذا العلم على

---

[1] هاشم جاسم السامرائى : علم النفس الإسلامى ، ط١ ، مركز عبادى للدراسات والنشر ، صنعاء ، اليمن ، ص ١١.

[2] محمد رشاد خليل : مرجع سابق – ص ٣٨.

أساس التصور الإسلامي للإنسان بحيث تصبح موضوعات هذا العلم وما يتضمنه من مفهومات ونظريات متفقة مع مبادئ الإسلام أو على الأقل غير متعارضة معها .[٣]

وهنالك من العلماء من أسهم في هذا المجال أمثال حسن الشرقاوي وعامر النجار ونبيل محمد السملوطي وسيد عبد الحميد مرسي ومحمد عودة محمد وكمال إبراهيم مرسي وعدنان ومحمد عثمان نجاتي ومحمد عز الدين توفيق ومالك بدري وآخرين كما عقدت عدة ندوات ومؤتمرات لهذا الأمر كما برزت جمعيات ومراكز ومنظمات تهتم بهذا المشروع . لو أن علم النفس كان مجموعة حقائق علمية مجردة لما كان هناك مسوغاً للحديث عند ضرورة تأصيله في إطار ثقافي بعينه ولما كان هنالك فجوة كبيرة بين علم النفس في الغرب والشرق تولد إحساس بالتلمذة والتابعية وهنا تبرر الحاجة للتأصيل .

---

[٣] أحمد الجرموزي : شخصية وقدرات عقلية ، مركز التربية للنشر – صنعاء ، ص٢١.

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى الآتي :

١- معرفة مفهوم إسلامية المعرفة .

٢- توضيح آراء بعض العلماء المسلمين للعلوم الغربية عامة وعلم النفس علي وجه الخصوص .

٣- إبراز مسوقات قيام علم نفس إسلامي.

٤- معرفة الصعوبات والعقبات التي تقف أمام علم النفس الإسلامي سواء أكانت منهجية أو فكرية او فلسفية.

٥- كشف العلاقة بين علم النفس وعلم النفس الإسلامي .

٦- توجيه النظر للترابط بين الدين الإسلامي والعلوم الإنسانية مما يؤكد معاني الوحدة بين علم مستمد من الله عبر رسوله وعلم نستخلصه من تجارب وأفكار الإنسان .

أهمية الدراسة :

تتمثل أهمية الدراسة في الآتي:

١. احتياج المشغلين في مجال علم النفس لمثل هذه الدراسة .

٢. إظهار جانب مهم من مخزون الفكر النفسي الغربي والإسلامي وإتاحة الفرصة للباحثين والمفكرين لإحياء مصادر التراث من جديد وإعادة تنظيم عملية البحث .

٣. استبعاد كثير من المفاهيم والأفكار الوافدة التي تناقض الإسلام ودحض تلك المفاهيم بالحجة والبرهان في ضوء معايير التأصيل الإسلامي لعلم النفس .

٤. أهمية مكانة النفس في القرآن والسنة .

أسئلة الدراسة :

يتمثل السؤال الرئيس لهذه الدراسة في الآتي : (ما دواعي وأبعاد قيام علم نفس إسلامي ؟) وتتفرع منه الأسئلة الآتية :

س١ : ماذا نعني بإسلامية المعرفة أو التأصيل الإسلامي؟

س٢ : ما موقف العلماء المسلمين من العلوم الغربية؟

س٣: لماذا قيام علم نفس إسلامي ؟

س٤ : ما الصعوبات التي تواجه علم النفس الإسلامي ؟

س٥ : ما هي طبيعة العلاقة بين علم النفس وعلم النفس الإسلامي؟

منهج الدراسة :

اعتمد الباحث المنهج الوصفي والمنهج التحليلي النظري ؛ لأنه أنسب مناهج البحث لهذا النوع من الدراسة وهو أكثر المناهج شيوعاً واستخداماً من الباحثين في الدراسات النفسية حيث قام الباحث بمسح موضوع الدراسة من خلال الاطلاع على أدبيات الموضوع وكتابات المفكرين وآرائهم وذلك للوصول إلى بعض النقاط التي تساعد في

تطوير الفكرة ، كما استطاع الباحث من خلال ذلك الإجابة على أسئلة البحث .

مصطلحات الدراسة :

التأصيل الإسلامي للمعرفة : التأصيل الإسلامي للمعرفة (التأصيل يعني من حيث دلالته اللغوية الوصل بالأصل وبما أن أصل كل أمر يرد إلى الله جل جلاله بمقتضى المعرفة فإن مفهوم التأصيل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمباديء الإيمان به تعالى مثلما هو مرتبط بهذه المعرفة) [1] وتأصيل المعرفة بردها إلى أصولها العقدية . لا يعني مجرد التمسك بهذه الأصول دون وعي بغاياتها وإنما يفيد الأخذ بها لبلوغ تلك الغايات وهكذا نجد أن تأسيس المعرفة بتأصيلها على قيم الدين ومبادئه يعني إسلامها لله عز وجل [2]

---

[1] محمد عطا مدني : تصميم حقيبة تعليمية وإنتاجها حول بعض المفاهيم في الجغرافيا الطبيعية للصف الأول الثانوي في ضوء آيات من القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الخرطوم – ٢٠٠٠م – ص ٣٥ .

[2] شرف الدين على الطاهر: تأصيل المعرفة أسسه وأهدافه ، مجلة التأصيل – العدد السادس –

ويعرفها العاني بأنها (عملية مقصودة لتوجيه المعرفة بعمومها فكراً وسلوكاً نظراً وتطبيقاً في ضوء معارف الوحي قرآناً وسنة والاجتهاد المشروع في نصوصه بما تقتضيه الفطرة الإلاهية للإنسان والسنن والنواميس الكونية) [1]

ويعرف الباحث التأصيل الإسلامي للمعرفة بأنه : (ممارسة النشاط المعرفي من زاوية التصور الإسلامي) تعريف إجرائي.

علم النفس :

الخرطوم – ١٩٩٨م – ص ٣ .

[1] نزار العاني : محددات أولية لمنهجية أسلمة المعرفة ، مجلة التجديد ، السنة الثانية ، العدد الثالث ، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ، ١٩٩٨م –١٢٢-١١٣.

هو الدراسة العلمية للسلوك الإنساني في علاقته وتفاعله مع البيئة التي تحيط به(تعريف إجرائي).

الدواعي لغة :- السبب أو طلب الاسباب أو الذريعة أو ما يتوصل به الي غيره أو الطريق و الاخذ والعطاء [٢]وداعاه : ناداه ورغبه إليه [٣]

الدواعي اصطلاحاً : الاسباب التي تدعو لتبني واعتماد علم نفس بالمنظور الإسلامي (تعريف اجرائي) .

الابعاد لغة: جمع بعدوالبعد : الرعي و الحزم .

الابعاد اصطلاحاً : الجوانب التي ارتكزت عليها الدراسة لإثبات المبررات الداعية لقيام علم نفس اسلامي (تعريف إجرائي)

إجراءات الدراسة :

---

[٢] لويس معلوف : المنجد في اللغة ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ ، ص٤٣

[٣] المرجع السابق ، ص٢١٦

اطلع الباحث على قدر وافر من كتابات علماء الغرب والمسلمين عن علم النفس عامة ، ولقد استفاد الباحث من تلك الكتابات في تكوين فكرة واضحة عن الموضوع بكل جوانبه كما ساق الباحث آراء بعض الكتاب المسلمين في هذا الأمر واستند عليها في التفسير والمناقشة .

للإجابة على السؤال الأول ومضمونه : (ماذا نعني بإسلامية المعرفة أو التأصيل الإسلامي؟)

الإسلام والمعرفة يتفاعلان لذلك كانت مهمة الإسلام تطور الفكر البشري ؛ لأنه يعمل على ربط المعرفة بالدين ربطاً عضوياً ؛ فالعلاقة بين الإسلام والمعرفة علاقة وطيدة جداً انطلاقاً من تقدير الإسلام للعقل والمعرفة ومصدر المعرفة هو تصور الإسلام للكون والإنسان والحياة والتفاعل بين هذه العناصر لذلك ينبغي أن تتدرج جميع العلوم والمعارف في إطار الدين الكلي كما يراه الإسلام فيخدم

كل واحد منهما من زاوية اختصاصه في كشف الحقيقة ؛ لأنها من مقاصد وغايات الدين في تربية الإنسان .

فالمعرفة الدينية ليست قاصرة فقط على دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ولكن لا بد أن تكون تربية شاملة تهتم بثقافة المسلم وسلوكه ، فالدين ليس علماً ولكنه منهج حياة شاملة ويجب ألا تقع فيما وقعت فيه الأديان الأخرى بعزل الدين عن الحياة العامة للمجتمع .

جعل علم النفس بكل فروعه منبثقاً من أصول الإسلام ومفاهيمه العقدية المبثوثة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والاستفادة من جهود العلماء المسلمين وغيرهم فيما لا يتعارض مع تلك الأصول .

الأصل في اللغة يأتي بعده معانٍ منها: الأصل للشيء أو أسفل كل شيء وجمعه أصول وتأصيل الشيء إثبات أصله ورجل أصيل : ثابت الرأي والعقل وأصل الشجرة: جذورها وهذا المصطلح رغم أنه سليم إلى حد كبير إلا أنه لا يمكن تأصيل كل العلوم ولا نجدلها

أصولاً إسلامية كما هو المطلوب ، فإذا اقتصر التأصيل على العلوم الاجتماعية يكون المصطلح سليماً[1] .

ولقد أدرك المسلمون ذلك مؤخراً حيث راجت منذ مطلع الثمانينات مع تنامي الصحوة الإسلامية مصطلحات (أسلمة العلوم) و (الإسلام هو الحل) و (الاقتصاد الإسلامي) و (إسلامية المعرفة) و (علم النفس الإسلامي) وغير ذلك مما أريد به تأكيد ربط الإسلام بجوانب الحياة كافة الفكرية والاجتماعية والثقافية والسياسية " ولم تكن الدعوة إلى (أسلمة العلوم) و(إسلامية المعرفة) في حقيقة الأمر نتاجاً خاصاً بمرحلة الثمانينيات بل موغل النقاش في هذه الإشكالية إلى القرن الماضي ، حيث اكتشف المسلمون التقدم العلمي الهائل في أوروبا مقابلة بما كانوا هم عليه الأمر الذي أثار بين مثقفهم وعلمائهم أسئلة

---

[1] مقداد يالجن : سياسات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون – دار عالم الكتب للطباعة والنشر – ط١ – الرياض /السعودية – ١٩٩٦م – ص ٣١-٣٢.

واتجاهات تبحث عن سبل التوفيق بين الإسلام والعلم وعن أسباب تخلف المسلمين وتقدم غيرهم) [1]

وقد نال موضوع (أسلمة المعرفة) إهتماماً كبيراً في السنوات الأخيرة من مجموعة من العلماء والمفكرين المسلمين حيث تبلورت جهودهم في إنتاج العديد من الأبحاث والدراسات التأصيلية في مختلف فروع المعرفة ونشرت العديد من المقالات والدراسات والمؤلفات التي تدعو إلى هذا الاتجاه التأصيلي للعلوم الاجتماعية والإنسانية والتربوية وعقدت العديد من المؤتمرات والندوات لذلك .

ويعرف إسماعيل الفاروقي أسلمة المعرفة بأنها إعادة صياغة العلوم في ضوء الإسلام وإعادة صياغة المعلومات وتنسيقها وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المتحصلة منها وتقييم الاستنتاجات التي

---

[1] طلال عتريسي : ضالة المؤمن بين أسلمة المعرفة وعلوم الغرب – مجلة باحثات – العدد الثالث – المركز اللبناني للدراسات – بيروت – لبنان – ١٩٩٧م – ص٣٨١.

انتهت إليها وإعادة تحديد الأهداف على أن يكون كل ذلك بطريقة تجعل فروع المعرفة المختلفة تثري التصور الإسلامي وتخدم أهداف الإسلام .[٢]

ويعرف يالجن "إسلامية المعرفة "بأنها (إعادة النظر في الدراسات العلمية بعامة والإنسانية منها بخاصة وتأصيلها وفق ثوابت الفكر الإسلامي وصياغتها في إطار الإسلام) .[٣]

بينما يرى بعضهم أن قضية أسلمة المعرفة نشأت بسبب وجود أزمة حالية قامت نتيجة لإنهيار الشخصية المسلمة أمام عطاء الحضارة الغربية المعاصرة بينما يرى آخرون أن الشخصية المسلمة كانت قد انهارت منذ أيام الدولة العباسية وبالتالي فإن الأزمة ليست حالية وإنما قديمة

---

[٢] صالح سليمان العمرو : التأصيل الإسلامي لفلسفة التربية ، معهد البحوث العلمية ، جامعة ام القرى ، السعودية ، ١٩٩٩م ، ص ١٧-١٨.

[٣] مقداد يالجن : مرجع سابق ، ص ٩٦

ويورد (حاج حمد)[1] بعض الإشكالات في مصطلح إسلامية المعرفة فيرى أن (إسلامية المعرفة) عنوان مركب من (إسلامية) ومن (معرفة) في حين أن (الإسلامية) فيما يراها الناس (تخصيص ديني) في مقابل (معرفة) هي عامة غير قابلة للتخصيص وليس التخصيص الديني فقط وإنما تتسع لعدد من المناهج وتستبطن العديد من الإيدولوجية فتركيب المعرفة على الإسلامية يحمل تخصيصها وتحديداً يوصف هذه المعرفة الإسلامية مفارقة لغيرها على مستوى المناهج الأخرى فهل يمكن مصادرة الإنتاج البشري العام لصالح معرفة خاصة .

ويقال إن الصحوة الإسلامية التي أخذت بالانتشار بعد هزيمة العرب في حزيران عام ١٩٦٧م تحولت إلى تيار سياسي يحاول تقديم البديل الإسلامي أو الحل الإسلامي ثم أخذ الإسلاميون يكتبون عن المشروع الحضاري الإسلامي .

---

[1] محمد أبو القاسم حاج حمد: إسلامية المعرفة ، المفاهيم والقضايا الكونية ، معهد إسلامية المعرفة، مجلة تفكر ، المجلد ٣ ، العدد ٢ ، ٢٠٠١م ، ص٩ .

وهنالك عدة مسميات لهذا التأصيل منها على سبيل المثال : (إسلامية المعرفة المعهد العالمي للفكر الإسلامي) بالولايات المتحدة أو إسلام المعرفة (معهد إسلام المعرفة بجامعة الجزيرة) أو التأصيل الإسلامي للمعرفة (جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض) أو التوجيه الإسلامي للعلوم (جامعة الأزهر بمصر) على اعتبار أن المهم هو المفهوم والمضمون وليس المصطلح أو الشعار [٢].

وشهد العالم الإسلامي منذ مغرب القرن التاسع عشر وإلى يومنا هذا دعوات ومحاولات لإعادة قراءة التراث المعرفي الإسلامي وصياغته بجميع فروعه وتخصصاته وتنوعت هذه الدعوات بين الاعتدال والغلو وبين النجاح والإخفاق . [١]

---

[٢] فتحي حسن ملكاوي : حوارات إسلامية المعرفة عرض وتحليل – مجلة إسلامية المعرفة – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – السنة السابعة – العدد الخامس والعشرون – ٢٠٠١م – ص١٠٠.

[١] نعمان جغيم : نظريات الفقه الإسلامي منهجية الاجتهاد ، مجلة إسلامية المعرفة ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، السنة الرابعة ، العدد الرابع عشر ، واشنطون ، ١٩٩٨م ، ص ٢٠٣.

ومن حسن الطالع أنْ بدأ المسلمون يستنبطون ويستيقظون ويستعيدون قوتهم ويتبصرون في تعاليم الإسلام الصافية ومعانيه العميقة وأخذ البعض منهم على عاتقه أمرين : أحدهما تخليصه مما شابه وشوه خلال عصور الانحطاط والتخلف وثانيهما : الوقوف أمام تحدي الغرب وعقائده وفلسفاته ونظمه ولقد سارت العمليتان في آن واحد فكان الجهد مبذولاً لإزالة ما علق به من الشوائب وتصحيح المفاهيم وإعادة النسب والمقاييس إلى أصلها وإبراز ما أغفل من أقسامه ولا تزال هذه العملية مستمرة والحاجة إليها قائمة .

أما العملية الثانية فقد بدأت في أول أمرها بالموازنة ، والمقابلة والبحث عما في الإسلام مما يماثل أفكار الحضارة الغربية ونظمها ومرت العملية بمرحلة التوفيق بين الإسلام والأفكار الغربية وكان لهذه المرحلة فوائدها ومضارها فكانت سبيلاً للكشف عن كثير من جوانب عظمة الإسلام وجلاء حكمه وأحكامه كما كانت أحياناً طريقاً للإنحراف والتعسف في تأويل نصوصه وإلباسه غير ثوبه وإقحام

أفكار غربية عليه ولذلك كان لا بد من أن تعقبها مرحلة ثالثة تزيل هذا التلفيق بين فكرتين وعقيدتين ونظامين مختلفين وهذه المرحلة الأخيرة تتسم بالأصالة وتتجلى فيها ذاتية التراث الإسلامي وخصائصه المميزة .[٢]

للإجابة على السؤال الثاني ومضمونه : (ما موقف العلماء المسلمين من العلوم الغربية؟)

يواجه المجتمع الإسلامي اليوم قضايا متعددة فرضتها عليه تحديات العصر والحضارة ومن هذه القضايا الغزو الفكري ويرى عبد الكريم عثمان (أن للمفكرين الإسلاميين من الغزو الفكري الغربي مواقف تتحدد في أربع اتجاهات هي :

الأول : يتخذ موقفاً سلبياً أمام الحضارة الغربية وكل ما انبثق عنها وعدم الأخذ بشيء من أسباب هذه الحضارة .

---

[٢] محمد المبارك : الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية ، دار الفكر ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ١١ – ١٦.

الثاني : يدعو إلى التغريب والأخذ بكل أسباب الحضارة خيرها وشرها .

الثالث : التوفيق بين الحضارتين ويدعو هذا الرأي إلى تقريب مباديء الإسلام من مثل الحضارة الغربية مع الميل إلى تبني الثقافة الغربية .

الرابع : الاتجاه الذي يتمثل في الدعوة إلى احتفاظ المسلمين بإسلامهم حسب ما جاء في القرآن والسنة مع الإفادة من خير ما أنجزته المدنية الغربية والعلم الغربي مع عدم الأخذ من الثقافة نفسها إلا ما لم يتعارض مع شخصية الأمة الإسلامية وثقافتها[1].

كما يصنف لهذه المرحلة طه العلواني الذي يؤرخ لها بالمرحلة الرابعة من مراحل تطور فكر المسلمين فالمرحلة الأولى عنده يصطلح عليها بمرحلة (الصدمة الأولى والانبهار المباشر) حيث زلزل فيها المسلمون زلزالاً شديداً عن مواقفهم الفكرية والثقافية وفقدوا ثقتهم

---

[1] عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢م ، ص ١٨ .

بفكرهم الإسلامي والمرحلة الثانية التي بدأت فيها النفوس تستقر إلى حد ما وتجتاز فترة الانبهار والمرحلة الثالثة وهي التي تعيشها أو نعيش جزءاً منها وهي التي سميت بمرحلة (الصحوة الإسلامية) أي مرحلة الوعي بالذات أو اكتشاف الذات أما المرحلة الرابعة وهي التي نقصدها فهي مرحلة تقديم البديل الإسلامي الحضاري لكل ما قدمه الغرب [٢] .

بينما يرى منير شفيق بأن المراحل خمسة (المرحلة الأولى وتتسم بمحاولة إصلاح الدولة العثمانية من الداخل ويمثلها فكر جمال الدين الأفغاني والثانية تثبيت أقدام الاستعمار في نهايات الحرب العالمية الأولى ويمثلها أفكار محمد عبده ورشيد رضا والكواكبي وآرسلان والثالثة وهي مرحلة الاستعمار المباشر والرابعة مرحلة الدولة العربية المستقلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وأما المرحلة الخامسة فيمكن اعتبار نجاح الثورة الإسلامية في إيران وبداية القرن الخامس عشر

---

[٢] طه جابر العلواني : الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات وعلاج ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – واشنطون – ١٩٩٣م ، ص ٩٣.

للهجرة إيذاناً بالدخول إليها وتتسم بمحاولة الفكر الإسلامي مراجعة تجربته السابقة والانتقال إلى مواقع الهجوم الإيجابية في تغيير الواقع .

(١)

وقد أفرز الحديث نحو علم نفس إسلامي ثلاثة مواقف ويذكر مالك بدري ثلاثة تيارات مختلفة لمفهوم أسلمة علم النفس . أولها : التيار المتطرف الذي يؤكد أنه ليس هناك شيء أسمه (علم نفس إسلامي) وليس هناك ما يدعو للتأصيل الإسلامي لعلم النفس أو غيره من العلوم الإنسانية . ثانيها : يرى أن علم النفس الحديث بكل فروعه هو وليد شرعي للحضارة الغربية اليهودية والمسيحية وأن العالم الإسلامي لو تمسك بدينه وتراثه لن يكون بحاجة لهذا المسخ الأكاديمي العلماني ، ويرى أصحاب هذا الرأي أن العالم الإسلامي بحاجة إلى علم نفس إسلامي مستمد فقط من نصوص القرآن والسنة . ثالثها : وهو الاتجاه الوسط الذي يعترف لعلم النفس بالعلمية وفوائده وأهميته ولكنه لا

---

(١) منير شفيق : اللفكر الإسلامي المعاصر والتحديات ، دار النشر ، بيروت – ١٩٩١م – ص ٣٠ .

ينسى تأثير الخلفية الفلسفية الغربية لهذا العلم لذلك وجب على العلماء المسلين التأصيل ليميزوا الخبيث من الطيب .[٢]

١/ موقف الرفض باسم الإسلام :هذا الموقف يرفض علم النفس باسم الإسلام ، ويرى أن المسلمين في غنى عنه وهو موقف أولئك الذين لم يدرسوا علم النفس دراسة متخصصة ولم تسمح لهم ثقافتهم التقليدية أن يحيطوا بموضوعاته أو أنهم الذين نظروا في بعض النظريات التي قامت بها مدارس نفسية ورأوا آثارها في أوساط الشباب والمثقفين وربما المتخصصين في علم النفس فذهبوا إلى انتقاده ورفضه .

٢/ موقف الرفض باسم علم النفس : عندما يذكر علم النفس الإسلامي يستحضر علماء النفس في مجتمعنا صوراً متباينة تبعاً لمفهوم علم النفس لدى كل واحد والتشكيك في إمكانية تحقيقه.

---

[٢] مالك بدري : علم النفس الحديث من منظور إسلامي ، سلسلة المنهجية الإسلامية ، المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية ، ج٣، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٢م ، ص ٣٣٧- ٣٣٨.

٣/ وهنالك موقفاً وسطاً بين الموقفين السابقين باعتبار أن علم النفس يشترك مع غيره من العلوم وهو موقف من أدركوا أهمية علم النفس وأدركوا في ذات الوقت خطورته إذا انتقل إلى المجتمع الإسلامي بضاعة مستوردة .

وإن المرحلة التي تمر بها الأمة الإسلامية تتطلب هذا الموقف بإلحاح ففي الوقت الذي يتقدم علم النفس الغربي بخطى سريعة وواسعة ويزيد بذلك من ضغطه على البلاد المتأثرة بثقافته فإن هذه التطورات قد نبهت إلى الطابع الثقافي لهذا العلم ولا نجد في العالم الإسلامي إلا أبحاثاً محدودة لا تتوافر في أغلبها شروط البحث العلمي .

ويرى عمارة ظهور ثلاثة تيارات هم [1]

١- تيار التقليد للموروث .

---

[1] محمد عمارة : أزمة الفكر الإسلامي الحديث ، دار الفكر ، ط١ ، بيروت – لبنان – ١٩٩٨م – ص ٨١-١٠٠.

٢- تيار التقليد للوافد الغربي .

٣- تيار الإحياء والتجديد.

التيار الأول له فضل الحفاظ على التراث والدفاع عنه أمام الوافد الغربي الأمر الذي حفظ للأمة ولثقافتها التواصل مع ماضيها الحضاري ولكنه انكفأ على (الذات) وقد ظل عاجزاً عن صياغة الخيار الحضاري والنموذج التجديدي القادر على منافسة النموذج الغربي لا لقصور طبيعي في عقول أعلام هذا التيار وإنما لعيب في بضاعتهم الفكرية .

أما التيار الثاني فكانت بدايات فكره الاستقلال من الموروث وقطع حبال التواصل الحضاري واستبدال النموذج الغربي بدلاً من المنابع الحضارية الإسلامية .

أما التيار الثالث فأرادوا مشروعاً تجديدياً لا يقيم قطيعة مع التراث ، وإنما يتجاوز المتخلف منه ذلك الذي تجاوزه التطور ولا يقيم

قطيعة مع الحضارات الأخرى وإنما يميز بين (المشترك الإنساني العام) ، وبين (الخصوصيات) التي تتميز بها تلك الحضارات ولا يدير ظهره للواقع حاضراً ومستقبلاً وهو بذلك يريد استلهام الموروث والاستعانة بالوافد الملائم كمنطلقات لإبداع جديد للواقع الإسلامي . فالفكر الإسلامي بأصوله القائمة على التوحيد كان دائماً قادراً على أن يحتفظ بذاتيته الخاصة يأخذ من الفكر البشري ويترك وقد عجزت كل القوى – في أحلك الظروف والأوقات – أن تصهره أو تخضعه أو تفقده مقوماته وهو ما لا يمكن أن يحدث .[1]

للإجابة على السؤال الثالث : (لماذا قيام علم نفس إسلامي ؟)

نتيجة للظروف التاريخية التي مرت بها أوروبا في العصور الوسطى وما حدث من صراع عنيف بين الكنيسة والعلم ظهرت العلمانية في أوروبا في عصر النهضة وما بعدها ، واتخذ هذا الاتجاه

---

[1] أنور الجندي : قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٤م ، ص ٢٠٣.

موقفاً عدائياً من الدين أدى إلى إقصائه عن الحياة وصار الإلحاد هو الأساس الفكري الذي تبنى عليه العلوم في كل ميادينها مما أدى ذلك إلى ظهور المنهج الوضعي الذي ينادي بوجوب تطبيق قواعد المنهج العلمي المستخدم في ميدان العلوم الطبيعية ذاته على جميع العلوم الاجتماعية والإنسانية والنفسية وهو منهج يرتكز على موقف فلسفي مفاده بأنه لا يمكن الوصول إلى المعرفة إلا من خلال الخبرة الحسية والاعتماد المطلق على الملاحظة والخبرة الحسية والتجربة[٢]

ويرى الباحث أن هذه النظرة تعد اتجاهاً علمانياً قاصراً ؛ لأنه يحصر المعرفة في أمور الحياة الدنيا ويعادي الدين كما يعادي البحث فيما وراء الوجود المحسوس وهذا يجعل موقف العلماء المسلمين من الحضارة الغربية ومنجزاتها واضحة وجلية فنأخذ منها التقنين الذي تميزت به علومها ومناهجها ونرفض الخلفية الفكرية التي بنيت عليها هذه العلوم .

---

[٢] صالح سليمان العمرو : مرجع سابق ،ص ١٧-١٨

لقد أفسد علم النفس الحديث العلم بالنفس ؛ لأنه بنى هذا العلم على فلسفة التطور التي تنكر الخالق والخلق وتقول بالطبيعة المتطورة والتي أصبحت الموجة الرئيس لعلم النفس الحديث . وإن التطور الإلحادي لأصل الإنسان والذي قال به التطويريون قد أصبح اليوم هو أساس جميع العلوم الإنسانية وغير الإنسانية وهو بالتالي أساس علم النفس بجميع مدارسه سواء أكانت التحليلية أو السلوكية ، لأن جميع هذه المدارس على اختلافها إنما هي انعكاس للموروث القومي والتاريخي لمؤسسيها من جانب كما أنها وسيلة مستترة بستار العلم لتحقيق أهداف قومية من جانب آخر.[1]

كما يضاف إلى ذلك أن علم النفس الحديث في الغرب ما هو إلا علم نفس الرجل الأبيض وليس صحيحاً أنه كان في أول الأمر بل أنه ما زال كذلك . [2]

---

[1] محمد رشاد خليل :مرجع سابق ، ص

[2] أحمد عزت راجح : أصول علم النفس ، ط١٠ ، المكتب الحديث ، القاهرة ، ١٩٧٦م . ص ٣٦.

لقد تخبط علماء النفس الغربيين في فهم أنواع الصراع النفسى وذلك بسبب إنكارهم لحقيقة النفس المخلوقة على نحو ما بينه الإسلام ولذا فإن الإسلام يعرض لنا الصراع بأبعاده المختلفة وهو الصراع في نفس الإنسان الذى همه دنياه لا يعرف غيرها والإنسان يتردد بين دنياه وآخرته والإنسان الذى يقبل بكل همه على آخرته ولذا فإن علم النفس الإلحادى الذى لا يعترف بالروح لا يستطيع أن يفهم أنواع الصراع بين الخير والشر لأن عوامل الصراع منها ما هو مغيب ومنها ما هو مشهود فالمؤمن يسلم بوجودها كلها وإن لم يعرف كيفية عملها بينما الكافر يسلم ببعض وينكر البعض ويظل تحت شيطانه ونفسه وهمومه ومخاوفه ويعيش حياته نهباً للقلق والخوف .[٣]

إن اعتماد نظرية الأنماط سواء التي جاء بها أبقراط أو كرتشمر Kretschmet أو شلدون أو كاتل أو غيرهما لا تمت إلى الحقيقة العلمية ولا يمكن الاعتماد عليها فالنمط البدين أو النحيل أو

---

[٣] محمد رشاد خليل : مرجع سابق ، ص ٧٥

الرياضي أو النمط الغير منتظم وخصائص كل منهم لا يمكن أن تكون منطبقة على نمط الشخصية بكل أبعادها وحذافيرها ولا يمكن اعتمادها كأساس لدراسة الشخصية ؛ لأن علم الأنماط والنماذج ارتكزتا على علم التشريح والأشكال وهي تعتمد على النظرية البيولوجية في تفسير السلوك .

وقد ذهب أصحاب المدرسة الإنسانية إلى رفض المسلمات التي تقوم عليها مدرسة التحليل النفسي والسلوكية كما يرفضون كثيراً من المصطلحات المستخدمة في هاتين المدرستين .

لا يوجد على ظهر الأرض منهج علمي قد حرر الدليل تحريراً علمياً خالصاً مجرداً من الهوى والغرض غير المنهجية الإسلامية التي تعتمد علي الوحي والتجريب والحواس باعتبارهم دلائل، إن دعوة الغرب للمنهجية العلمية والتجرد والموضوعية لم يحرر الدليل العلمي تحريراً مجرداً من الغرض أو الهوى فالإسلام حينما يناقش خصومه لا يرد دعواهم لمجرد المخالفة وإنما يرفضها لأنها لا تستند إلى دليل ولذا يقول

الله تعالى لهم : (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)[1] والبرهان هو الدليل وقوله تعالى : (إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون) [2]والسلطان هو الدليل ، فمصادر العلم عند علماء الغرب محدودة ومحصورة على التجربة وهذا حصر غير علمي لأن التجربة ليست سوى مصدر من مصادر العلم وليست هي المصدر الوحيد للعلم وهي مصدر لنوع علم بعينه هو العلم بالمحسوس والوجود ليس هو المحسوس وحده وإنما الوجود محسوس وغير محسوس ومشهود وغيب ومصادر العلم تختلف باختلاف نوع المعلوم فالغيب مصدر العلم به هو الوحي الصادق أو الخبر والمحسوس الذي غاب عنا لا مصدر للعلم به إلا الخبر عنه والمحسوس سبيله للملاحظة والتجربة والخبر أيضاً إن الحاجة إلى المعرفة الصحيحة بالنفس حاجة إنسانية أساسية ؛لأن حياة الإنسان كله يتوقف عليها وأنه لمن السفه أن يظن ظاناً أن الله تعالى خلق الناس وكلفهم ثم تركهم بدون علم صحيح

---

[1] سورة الأنبياء – الآية ٤٣.

[2] سورة يونس – الآية ٦٨.

بالنفس وهو يعلم أن حياتهم لا تصح إلا بهذا العلم ومن السفه أيضاً أن يظن ظان'' أن البشرية ظلت جاهلة جهلاً مطلقاً بالنفس حتى جاء سقراط فقال (أعرف نفسك) فبدأ الناس يعرفون جزء من أنفسهم ثم ظلوا على جهل كبير بها إلى أن جاء فرويد وبونج وواطسن وبافلوف فكشفوا لهم سرها وفكوا لهم رموز علمها .

إن العلوم الإنسانية في الغرب تقوم على فلسفات خاصة تنطلق كل منها من وجهة نظر خاصة بصاحبها ولقد شاع كثير من هذه النظريات رغم ثبوت بطلانها لأن كثيراً ما ينكر بعضها بعضاً وينقض بعضها بعضاً بسبب التعصب أو بسبب الجمود أو لأنها تخدم سياسات مذهبية واستعمارية .[1]

لكل ما تقدم نستطيع أن نقول إنه يستحيل قيام علم نفس على أساس غير إسلامي ؛ لأن النفس ليست مجموعة من الظواهر التي

---

[1] محمد رشاد خليل : علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، دار القلم ، ط١ ، الكويت ، ١٩٧٨م ، ص٤٨.

تخضع للملاحظة والتجربة كما ذهب إلى ذلك أصحاب الفلسفة التجريبية الإلحادية على اختلاف مدارسهم .

وحينما نقول علم نفس إسلامي إنما نقول عن علم تأسس أولاً على خبر الوحي الصادق من خالق النفس ثم اتسع بالاجتهاد عبر القرون على أساس عملية منهجية أرسى قواعدها الوحي الإلهي وعلم النفس بهذه الصورة أوسع علوم الإسلام على الإطلاق ؛ لأنه يحتل مساحة واسعة في الكتاب والسنة وآراء الفقهاء المسلمين ؛ لأنهم استنبطوا تلك الأحكام الشرعية من علم النفس.

لذا فإن تلك الأمور بمثابة قواعد مؤطره للمعرفة الإسلامية ومؤثرة في حركة ومسيرة الفكر الإسلامي .

إن اعتماد كثير من المدارس النفسية والفلسفية على التواصل الداروينى فيما بين الإنسان والحيوان قد أثر على نشاطها وبحوثها لدرجة جعلت علم النفس أقرب إلى علم الحيوان منه إلى الإنسان بالرغم من بعض الفوائد ذات القيمة في الملاحظة التجريبية لسلوك

الحيوان ، إلا أنه من الواضح أن الإنسان يحمل من البناء الداخلي والإمكانات الذاتية لتحديد أشكال السلوك أكثر مما تحمله الفئران أو الكلاب . ومن الواضح أن التصور الإسلامي للإنسان يؤكد على تميزه عن بقية المخلوقات وتكريم الحق سبحانه وتعالى له وتسخير الكون له واعتباره كائناً أعلى وأشرف من أن تفسر حياته قوانين المادة أو الكائنات الحية الأخرى.

وتتميز نظرية المعرفة الإسلامية بالتشديد على أهمية الوحي كمصدر رئيسي للمعرفة ومعطيات الوحي المعرفية بالإضافة إلى الحواس والعقل .

لو أن علم النفس كان مجموعة من حقائق علمية مجردة لما كان هنالك مسوغاً للحديث عن ضرورة تأصيله في إطار ثقافي بعينه ولما كان هنالك فجوة كبيرة بين علم النفس في الغرب والشرق تولد إحساس بالتلمذة والتابعية .

إن قيادة الحركة العلمية ليست حكراً على العلمانيين والدليل على ذلك ما نطالعه في التراث الإسلامي حيث نجد أن ابن الهيثم وابن طفيل وابن سينا وغيرهم يتحركون بمنهج علمي وتجريبي في إطار تصوراتهم الإسلامية وكانوا في ذات الوقت قادرين على القيام بمهام التنظير السيكولوجي الرفيع وفي ضوء تلك الاعتبارات الماضية نجد أن علماءنا المسلمين اليوم قادرين على القيادة العلمية امتداداً لأجدادهم لأنهم يمارسون علم النفس داخل الأطر النظرية للثقافة التي نشئوا عليها وهي أطر بكل تأكيد ليست علمانية .

وفي الإنسان وفق مفهوم الإسلام عنصران : عنصر ثابت لا يتغير مهما تغيرت الظروف ومهما تغيرت حياته على الأرض لأنه يتصل بحقائق أزلية ثابتة لا يدركها التغيير أما العنصر الثاني فهو عنصر متغير من الجوهر الثابت أو حالات متطورة للكيان الدائم ولكنها مع تغيرها وتطورها لا تخرج بالإنسان عن كونه إنساناً. [1]

---

[1] أنور الجندي : مرجع سابق – ص ٨٤.

ونسمع هذه الأيام أصوات تتعالى تدحض النظرية المادية أو على الأقل يثير الشبهات القوية حولها كمقدمة لانهيارها في المستقبل القريب .

ولا شك أن القول بأن الدين يلغي العلم أو العكس إنما هو خطأ فالعلم طاقة من طاقات الإنسان أما الدين فهو منهج كامل للحياة البشرية والعلاقة تنبثق من إيمان وإدارك باللّه والالتزام بمنهجه.

إن علم النفس من أوسع علوم الإسلام وقد احتل مساحة واسعة في الكتاب والسنة كما أولاه الفقهاء المسلمون عناية شديدة فقد أسس الفقهاء عليه كثيراً من استنباطاتهم للأحكام الشرعية بالإضافة إلى كونه أساساً عاماً للأحكام الشرعية سواء منها الوارد بالنص أو المستنبط بالاجتهاد كما نجد علم النفس ركناً أساسياً من

مباحث أصول الدين والاعتقاد لأن مسائل الاعتقاد من إيمان وكفر ونفاق هي أمور نفسية في المقام الأول .[1]

وإذا كانت بعض المرجعيات التي لا ترقى إلى مرجعية الإسلام قد أقنعت بافتراضاتها علماء النفس في الشرق والغرب يستندون إليها لتأسيس نظرياتهم وبناء الوجهة العامة التي تستوعب وتؤطر تلك النظريات ، فإن الباحث النفسي المسلم أحق منهم بعرض مكتسباته العلمية على مرجعيته الإسلامية بوصفها وحياً من عند اللّه بل أنه أجدر من غيره بالبحث في العلوم النفسية لثراء المعلومات التي تمده بها هذه المرجعية المتميزة .[2]

وكثيراً من علماء النفس في البلاد الإسلامية قد أدركوا في الآونة الأخيرة أهمية إيجاد علم نفس إسلامي فأخذوا ينقبون في القرآن

---

[1] محمد رشاد خليل : مرجع سابق – ص ٤٥.

[2] محمد عز الدين توفيق : التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط ١، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٨م.ص٨.

الكريم والسنة النبوية واجتهادات علماء المسلمين عما يسهم في بناء علم نفس إسلامي مرتبط بالثقافة الإسلامية . ومن هنا تأتي الحاجة

لقد أفسد علم النفس الحديث العلم بالنفس لأنه بنى هذا العلم على فلسفة التطور التي تنكر الخالق والخلق وتقول بالطبيعة المتطورة وأن التطور الإلحادي لأصل الإنسان والذي قال به التطويريون قد أصبح اليوم هو أساس جميع العلوم الإنسانية وغير الإنسانية هو بالتالي أساس علم النفس بجميع مدارسه سواء منها التحليلية أو السلوكية أو الجشتطلية.

ولعل علماء النفس الغربيين الذين يتبعون في بحوثهم المنهج الموضوعي التجريبي بعض العذر في عدم تعرضهم للجانب الروحي في الإنسان ؛ لأنهم لا يعرفون كيف يتناولونه بالبحث العلمي الموضوعي غير أن عجزهم عن تناول الجانب الروحي في الإنسان بالبحث العلمي لا ينبغي أن يؤدي إلى إغفال ذلك الجانب الروحي من الشخصية إغفالاً

تاماً في محاولاتهم فهم شخصية الإنسان وهذا الإغفال أدى بدوره إلى قصور واضح في فهمهم للإنسان فهماً صحيحاً.

لا شك أن المهتمين بالدراسات النفسية والإسلامية على السواء متفقون على أن ما تتضمنه العلوم الإنسانية من آراء ونظريات ليس فوق النقد ، وأنه لا يعدو أن يكون اجتهادات بشرية تخطيء وتصيب كما لا تغيب عنهم السلبيات الناشئة عن بعض هذه الآراء والنظريات النفسية بل أغلبهم على وعي بهذه السلبيات .

إن بتر جزء من أجزاء الشخصية ودراسته ومعاملته تجريبياً لا يعنى أن النتائج

المتعلق بذلك الجزء يمكن تعميمها على بقية الشخصية في اكتمالها من قريب او بعيد .

إن أصحاب التحليل النفسى مثلاً لم ينجحوا في إثبات فرضياتهم رغم كثرة تفسيراتهم وتحليلاتهم عندما قسموا النفس إلى مجالات للشعور واللاشعور والأنا والهو والأنا العليا .

إن العلوم الإنسانية في الغرب تختزل الإنسان في أربع أبعاد هى : البيولوجى والنفسى والاجتماعى والجمالى وتتجاهل أهم بعد في الإنسان ألا وهو البعد الروحى ، وعلى افتراض التقدم الذى طرأ في ميدان علم النفس في المجتمعات الغربية ولئن حق للمجتمعات الغربية أن تقطف ثمار غرسها من علم النفس فليست هذه الثمار بالضرورة مستساغة لغيرها من المجتمعات ، إن علم النفس في الغرب مجموعة حقائق علمية مجردة ولما كان هنالك مصوغ للحديث عن ضرورة تأصيله في إطار ثقافى بعينه ولما كان هنالك فجوة كبيرة بين علم النفس في الغرب وفى المجتمع الإسلامى . ومعلوم أن كل العلوم هى حاضن وناقل لقيم الثقافة التى نشأت في كنفها .

وتولد لدينا نحن المسلمين احساس بالتلمذة والتابعية فهنا تبرز الحاجة للتأصيل وهى حركة انتظمت كافة فروع العلم والمعرفة الإنسانية .

لم يكن يهم الحضارة الغربية الرجوع إلى الجذور القرآنية التى تمثل أساس علم النفس الإسلامى الأصيل ، أصالة الروح والنفس في البدن ووجودها .. ولا غرو إذا وجدنا أن الله جل وعلا قد اعتنى في كتابه المجيد تلك العناية كلها بالذات الإنسانية مبيناً مفهومها ومدلولاتها وموضحاً ما يكتنفها من غموض ، والحقيقة أن تراجع علم النفس القرآنى في كتابات وتفاسير الأولين لم يكن متأتياً من قصور في علم النفس ذاته أو علاجه بل كان لقصور في أقلام المفسرين وباعهم الذى غالباً ما يقتصر على الفهم اللغوى والسرد التاريخى للعلوم القرآنية من دون تحليل . [1]

[1] علاء الدين ناصر القبانجى : معالم علم النفس في القرآن الكريم ، مجلة النبأ ، العدد ٤٣ ، الاستشارات النفسية والسيكولوجية ، الكويت ، ١٤٢٥هـ ، ص ٢٤ .

علينا إذن أن نسعى جاهدين للبحث عن مفهوم شامل وكامل وواضح للنفس البشرية وصولاً إلى الحقائق التى لا جدال فيها ولا نتصور ذلك ممكناً إلا إذا رجعنا إلى الأصل أى النبع الفياض إلى القرآن الكريم كلام الله الذى لا يرتقى إليه عقل عالم أو فيلسوف مهما بلغ من علم ومعرفة ، لنستطيع بعد ذلك من تعريف النفس تعريفاً لم يصفه بشر عاجز ولا حس مريض ولا عقل ناقص وإنما وضعه الله الكامل الباقى الذى ليس كمثله شيء والذى لا تبديل لكلماته ولا تغيير في آياته فهو الله تعالى العالم بخلقه وبجبلات نفوس مخلوقاته وعالم النفس المعاصر الذى يريد حقاً أن يتعرف على حقيقة النفس البشرية ويسعى إلى حكم رشيد على الشخصية الإنسانية عليه أن يغير من وسائله وغاياته ويبدل نظرياته ليستطيع أن يفسر النفس تفسيراً صادقاً وسليماً ولن يتمكن من تحقيق ذلك إلا إذا اتبع منهجاً إسلامياً استقى مادته من علم الله ومن آياته البينات فالمنهج الإسلامى المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية لديهما الإجابة الثابتة والواضحة بهذا الشأن لا يدع مجالاً للشك عند من يريد أن يصل إلى جوهر تلك

القضـايا التـى مـا زال أغلبهـا غامضـاً أو غائبـاً عـن أذهـان العلمـاء والباحثين في مجال الدراسات النفسية .

إن علمـاء المسـلمين المتخصصـين في دراسـة الـنفس البشـرية مدعوون إذاً لدراسة ما قدمه الإسلام من أمور عدة منها ما هـى حلول ومعالجات لمشكلات تواجه هذا الإنسان .

فعلينـا التأمـل في خلـق أنفسـنا والتعـرف عليهـا ممـا يقودنـا إلى معرفة الله عز وجل فمن عرف نفسه عرف ربه ومن عرف ربه عمل ما يرضيه ومن أرضى ربه حظى بالدنيا والآخرة .

ويمكن القول إن ملامح شخصية الإنسان من منظور إسلامى يمكـن أن يتطـور ويتعمـق ويصبح أكثـر شمـولاً ووضـوحاً بالمزيـد مـن الاسـتطراد والتعمـق والاستشـهاد بـالقرآن والسـنة والـتراث الإسـلامى الزاخر بآراء علماء وفلاسفة المسلمين عبر القرون حتى نخرج بنظرية تجسد الشخصية من منظور إسلامى .

إن فكرة المرء عن نفسه ومفهومه عن نفسه ومفهومه عن الآخرين التى تنميها الثقافة الغربية ويقوم عليها تحقيق الذات تنطوى على ربط النجاح والتفوق بقدرة الفرد على الأخذ بالأسباب التى توصله لما يريد ولا تربطه بمشيئة الله وتنطوى على ربط قيمة العمل بالمنفعة الفردية ولا تربطها بحكم الله فيها أحلال هى أم حرام ؟ وهذا يجعل تحديد (تحقيق الذات) بالمفهوم السائد في المجتمعات الغربية لا يصلح للتطبيق في المجتمعات الإسلامية ؛ لأن توجيهات الإسلام تنطوى على أن الإنسان خلق ليعبد الله ويعمر الكون وأن مصلحة الفرد من مصلحة الجماعة ومصلة الجماعة من مصلحة الفرد .[1]

إن تحديد السلوك الذى يمكن أن نطلق عليه سلوكاً لا توافقياً وكذلك تحديد الأفراد الذين يمكن أن نطلق عليهم أفراداً

---

[1] كمال إبراهيم مرسى : تعريفات الصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس سلسلة المنهجية الإسلامية ، ط١ ، ج٣ ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، هيرندن ، فرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٩٩٢م ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

غير متوافقين يعتمد أساساً على أحكام القيم النهائية للحسن والقبيح [1].

إن علم النفس الحديث في الغرب أهمل الجانب الروحى للإنسان وهذه الحقيقة هى من أهم أسباب قصوره في كثير من الميادين . إن التجارب التي أجراها علماء الغرب على الحيوانات بقصد فهم سلوك الإنسان قد واجهت نقدا قوياً ؛ لأن ما تكسبه من ضبط قد تخسره في الاصطناع فليس الإنسان كالحيوان يستطيع إلغاء عقله وهو يخضع للتجريب وهنالك اعتراضاً أخلاقياً لهذا النوع من التجارب .

هذه الأسباب وهذه الأعراض أبرزت واقعاً يلخصه نجاتى بقوله : (إن علم النفس وجميع العلوم الإنسانية الأخرى التى تدرس بالجامعات في البلاد الإسلامية هى علوم غربية في فلسفتها ووجهتها ، أسس نظرياتها علماء غربيون غير مسلمين على أساس نتائج بحوث ودراسات أجريت في مجتمعات غربية غير مسلمة لها أساليبها في التفكير

---

[1] روتر جوليان : علم النفس الأكلنيكى ، ترجمة عطية محمود ، دار الشروق ، ط٢ ، القاهرة ١٩٨٤م ، ص ١٦٩ .

والحياة ولها فلسفتها الخاصة في طبيعة الحياة وفى طبيعة الإنسان ورسالته في الحياة وغايته منها ولها معاييرها في دور الدين في حياة الإنسان) . [٢]

والظاهرة الفذة التي يمتاز بها الإسلام عن بقية الأديان والمذاهب أنه أوجب على المسلمين وجوباً كفائياً تحصيل العلوم التي تنظم بها حياتهم كما أوجب عليهم وجوباً عينياً التفقه في شؤون دينهم العظيم إما اجتهاداً أو تقليداً فإن الجاهل به غيره معذور[٣].

إن الإسلام ربط الحق بالمنفعة ونرى ذلك في قوله تعالى : (كذلك يضرب الله الحق بالباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) [٤]ويؤكد ذلك قوله عليه السلام (الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها) وبهذه العبقرية التي

---

[٢] محمد عثمان نجاتى: منهج التأصيل الإسلامى لعلم النفس ، بحث مقدم لندوة بعنوان نحو علم نفس إسلامى ، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص ١ .

[٣] باقر شريف القرشي : النظام التربوي في الإسلام – دار التعارف للمطبوعات – بيروت ، لبنان – ١٩٧٩م – ص ١٩٤.

[٤] سورة الرعد – الآية ١٧ .

ينبوعها القرآن والسنة أثبتت حضارة الإسلام قدرتها على صهر الثقافات الثرية الأخرى في بوتقتها الإسلامية وأمامنا أمثلة تاريخية عديدة .

للإجابة على السؤال الرابع :(ما الصعوبات التي تواجه علم النفس الإسلامي ؟)

هنالك جدلاً واسعاً يدور في أروقة المتخصصين في العلوم الحديثة حول ربط العلوم التجريبية بالإسلام وحول جدوى هذا الربط وحول علمية هذا الربط وأصل هذا الجدل راجع إلى الفصل غير العلمي الذي قام في الغرب بين الدين والعلم ذلك الفصل الذي حدث في الغرب لظروف خاصة بالغرب .[1])

إن المسلمين لا يزالون يمتلكون الخطاب الإلهي السليم دون سائر الأمم ، إن وضوح المفهومات والمصطلحات الإسلامية ومحاولة إشاعتها وإحيائها وإدراك دلالاتها يعتبر من الأمور المهمة في بناء

---

[1] محمد رشاد خليل : مرجع سابق ، ص ٣٦ .

المرجعية والتحصين الثقافي ؛ لأن هذه المصطلحات تشكل أوعية التفكير ، لذلك فأي تنازل عنها باسم الحداثة أو العصرية أو حتى مقاربتها بمصطلحات أو مفهومات أخرى هو تخل عن الذات وتوهين لقيم الأمة في معركة الصراع الحضاري وعدول عن الانتماء إلى الارتماء والسقوط لصالح الآخر .[٢]

ومن التحديات التي تواجه القائمين على تأصيل المعرفة أن غالبيتهم اتبعوا منهجيات متباينة ذكرها نزار العاني على النحو التالي :

١. مزاوجة بين العلوم المعرفية والإسلام والمزاوجة هنا لا تعدوا محاولة جمع نقيضين إلى بعضهما .

٢. أو محاولة تصديق القرآن الكريم عن طريق العلم حيث وضع العلم الوضعي قاعدة لتفسير نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية لأنها طابقت أو تطابقت نظريات أو مستجدات وضعية .

---

[٢] أحمد القديدي : الإسلام وصراع الحضارات ، ط١ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، سلسلة كتاب الأمة ١٩٥٥م ، ص ٢٢-٢٣.

٣. النكوص إلى التراث وتعظيمه والوقوف عنده تماماً وأسلمه المعرفة مفهوم معاصر يراد له أن ينهل من التراث ما يفيده وخاصة في فهم النصوص وتعليلها .

٤. ردة الفعل العنيفة ضد العلم الوضعي ووصم كل الناتج العلمي العلماني بالكفر والإلحاد .

٥. نجد أن النتاج البحثي عبارة عن ترجمة العلوم وترديفها ببعض الآيات القرآنية والأحاديث الكريمة وإلصاقها بها عن علم وغير علم ليقال أن هذا الكتاب أو هذا البحث إسلامي النزعة والتوجيه والقصد .

٦. الإنكفاء على التأطير النظري فحسب والإطار النظري من الأهمية بمكان ولكنه يجب أن يستند على قواعد ومرتكزات واضحة أولاً وخصائص ومعايير متفق عليها ثانياً.

٧. لي عنق بعض الآيات والأحاديث الكريمة وبعض النصوص في الفكر الإسلامي ليطابق النظريات العلمية الحديثة .

٨. الخلط بين مفهومي (أسلمة المعرفة) و (التنصير والتغريب) أي الوقوف بوجه التنصير والتغريب أو ما يدعى أحياناً بالغزو الفكري [١]

.

ويمكن تمييز عدة فئات بين المعارضين لمشرع إسلامية المعرفة ينتسب بعضها إلى الدوائر الإسلامية وبعضها إلى الدوائر العلمانية وأخرى محسوبة على اليسار والبعض الآخر من الصحفيين والكتاب الذين لم يطلعوا على أدبيات أسلمة المعرفة .إن موضوع أسلمة علم النفس يكتنفه كثير من الصعوبات والتحديات فهو بحاجة أولاً إلى تعمق في مواد علم النفس الغربى ومناهجه وممارساته وتحتاج ثانياً إلى إلمام عام بالإسلام نفسه وبأصوله ومصادره الأساسية وتحتاج ثالثاً إلى تفكير ابتكارى خلاق وقدرة على الربط بين مقاصد الدين وما هو مقبول في علم النفس الغربى بمناهجه وميادينه وممارساته دون تفريط أو إفراط .رابعاً تحتاج إلى تمحيص محتوى كتب علم النفس الغربية

---

[١] نزار العاني : مرجع سابق ، ص ١٢٢-١١٣.

والتى نقلت إلى اللغة العربية وفرضت تدريسها في جامعاتنا ومعاهدنا العليا.

وعزا المقدادي قلة إنجازات مشروع أسلمة المعرفة خاصة في علم النفس إلى عدم التمكن العالي من التخصص وغياب الدرجة العالية من التقوى التي يفتقدها الكثيرون وعدم الاتفاق على منهج موحد والاختلافات الفكرية داخل المدرسة الواحدة كما يضيف لذلك عدم العمل الجماعي والاعتماد على الفردية كما يضيف عائقاً آخر هو الحاجز اللغوي المتمثل في معرفة اللغة العربية وإجادتها [1]

إن محاولة أسلمة علم النفس أو تأسيس علم نفس إسلامى قد يتبناه الرافضون تماماً لعلم النفس بالمنظور الغربى وأكثرهم من غير المتخصصين في علم النفس أو من المتخصصين النفسيين الذين تبنوا مفهوم التأصيل الإسلامى لتخصصهم بجدية وإخلاص ، وهناك فريق

---

[1] أحمد عبد الرحيم نصر : إسللامية المعرفة ، الحاجز اللغوي ، مجلة تفكر ، معهد إسلام المعرفة ، المجلد ٩ ، العددان (١-٢) جامعة الجزيرة ٢٠٠٨م ، ص ٥٧-٥٨ .

ثالث يتكون من أؤلئك المتخصصين الذين آثروا أن يسايروا هذا الفكر الإسلامى المسيطر دون اقتناع حقيقى بالأسلمة .[٢]

وفى علم النفس الإسلامى دعوة صادقة إلى التعمق في طبيعة الإنسان البشرى من حيث أثره ووظيفته في الحياة الدنيا ومن هنا وجب على دارس العلوم الإنسانية على وجه العموم وعلم النفس على وجه الخصوص أن يتفهم الطبيعة الإنسانية للنفس البشرية حتى تنطلق دراسته عن فهم واقعى وصحيح وشامل للنفس البشرية .

إن أزمة علم النفس في العالم العربى والإسلامى في رأى أبو حطب (صنعها علماء النفس المسلمون أنفسهم ولا يلام علماء النفس الغربيون إن وجهوا علم النفس لتحقيق مصالحهم وأهدافهم والملومون هم الذين وضعوا أنفسهم في شرك التبعية العلمية).[٣]

---

[٢] مالك بدرى : مرجع سابق ، ص ٣٥٩ .

[٣] فؤاد أبو حطب : نحو وجهة إسلامية لعلم النفس ، بحث مقدم إلى ندوة علم النفس الإسلامى التى نظمها المعهد العالمى للفكر اللإسلامى بالاشتراك مع الجمعية العربية للتربية الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص ٣١ .

للإجابة على السؤال الخامس: (ما هي طبيعة العلاقة بين علم النفس وعلم النفس الإسلامي؟)

إن الحكم المتسرع على منجزات فكرية هامة وتقديمها عن طريق التهكم الجاهل أو الإلغاء المباشر والسريع للآخر كل هذا من شأنه أن يضعنا في عزلة عن العالم وحركة الحياة فيه فالعقل الإسلامي المتفتح يرى من واجبه أن يجري اتصالاً وحواراً مع الحضارات الأخرى قائماً على الاحترام المتبادل و أدب الاختلاف ولا بد لهذا الحوار أن يؤتي ثماره في صياغته أفكار إسلامية غير منعزلة وذات طابع علمي وعلى الكتاب المسلمين أن لا يضيقوا بآراء وأفكار غيرهم .

والقاعدة الإسلامية في مثل هذه الحالات هي أن نأخذ الحكمة أينما وجدت ولكي نأخذ الحكمة من غيرنا يجب أن نتحرر من بعض الأوهام وأن نتأدب بأدب الإسلام والعلم والحوار حتى نستطيع بناء عقلية مرنة قابلة للاستفادة من منجزات المعرفة الحالية .

إن النتاج العلمي الغربي ليس كل ما فيه أو نتج عنه لا يصلح لنا ولا يعني أننا عندما نريد أن نقدم بديلاً حضارياً عالمياً جديداً فإننا يجب أن نبدأ من الصفر ولكن يمكن أن نبدأ مما وصل إليه العلم الحديث من إنتاج العقل الغربي من دون المتعارض مع الفكر الإسلامي .

إن معرفتنا للأسس التي قام عليها علم النفس وموضوعاته ومحتوياته يساعدنا على تحديد ما يتلاءم مع عقائدنا ويتواءم مع أسس فكرنا الإسلامي وأغراصنا ومبادئنا وقيمنا ويمكننا أن نستفيد منه ويساعدنا على تحديد ما لا يمكن أن يتلاءم منها فنرفضه ونعمل على تغييره

أو تعديله .

يلخص أبو حطب واقع العلاقة بين الغرب والعالم الثالث في مجال الدراسات النفسية في مجموعة من النقاط نلخصها فيما يلي :

١. علاقة الاستيراد والتصدير التي تتم من جانب واحد دائماً .

٢. الاعتماد المعرفي على الغرب (نظريات ونماذج ومنهاج واختبارات ونتائج)

٣. قطع الصلة بالتراث الثقافي واعتبار القديم عائقاً عن التقدم .

٤. انتشار البدع الثقافية في العلم (معظم التراث الغربي المستورد لم يتم اختباره على ضوء الحاجات القومية والثقافية).

٥. كف التفكير الإبداعي وانتشار التكرار في أبحاث الماجستير والدكتوراه لما قاله علماء الغرب على حساب المشكلات الجوهرية التي تعاني منها البلاد النامية ناهيك عن ظواهر الادعاء والتزوير والسرقة .

٦. الاغتراب وفقدان الهوية الثقافية .

٧. فقدان الهوية المهنية (الخلط بين الأخصائي النفسي والأخصائي الاجتماعي وطبيب الأمراض العقلية) . إضافة إلى أن ما يدرسه

الأخصائي النفسي لا يكفي للتأهيل ويعزي أبو حطب من وجهة نظرة قيام هذه الأمة بأن من صنعها هم علماء النفس لتحقيق مصالحهم وأهدافهم والملوم هم الذين وضعوا أنفسهم في شرك التبعية العلمية [1]

وهذا لا يعني بالضرورة رفض كل نظريات علم النفس الغربي جملة وتفصيلاً بل يمكن لعلم النفس الإسلامي الاستفادة من نظريات علم النفس تلك غاية العلوم الشرعية تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في تزكية النفوس ووقايتها من الانحراف وعلاج انحرافها فالإسلام منهج لهداية الناس إلى السعادة في الدنيا والآخرة قال تعالى : (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) [2]

وغاية العلوم الشرعية هي نفسها غاية علم النفس الحديث ولكن اختلفت الوسائل واتفاق العلوم الشرعية مع علم النفس في هذه الغاية جعل الكثير من الموضوعات النفسية تتدخل ضمن موضوعات

---

[1] فؤاد أبو حطب : مرجع سابق ، ص ٣٠ -٣١ .

[2] سورة طه – الآية ١٢٢.

العلوم الشرعية وجعل الكثير من العلماء والفلاسفة المسلمين المهتمين بعلم النفس يبحثون وينقبون عن هذا العلم الجديد وهو جديد في مظهر قديم في جوهره فإذا كانت الرسالة المحمدية قد أخرجت الناس من الظلمات إلى النور فكل ما يرتبط بهذه الرسالة هو طوق نجاة للإنسانية جمعاء .

إن الحوار الحضاري سنة من سنن الله في الكون له مقوماته وآلياته وأدواته وأهدافه وغاياته وأسلحته المتعددة فإن فهم إدارة الحوار وكيفية التعامل معه لا يقل أهمية عن امتلاك أدواته[1]

إن تأسيس علم نفس إسلامى على أسس ومنطلقات وممارسات إسلامية وربطه بمنهج الحياة الإسلامية أمر محبب وليس معنى ذلك رفض النظريات الغربية في علم النفس الحديث جملة وتفصيلاً ولكن يحكم عليها في ضوء العقيدة والفلسفة والشريعة الإسلامية.

---

[1] أحمد القديدي : مرجع سابق ، ص ٢٩-٣٠ .

إن الاختلاف بين علم النفس الإسلامى وعلم النفس الغربى يعود إلى أن الأول مع الإنسان المخلوق والأخير يتعامل مع الإنسان الطبيعى لذا فإن النفس مختلفة في العلمين إلا أن ذلك لا يعنى عدم وجود نقاط التقاء وإنما يعنى وجود فوارق سببها اختلاف نوع العلم المتاح في كل منها . [٢]

ويتبادر إلى الأذهان سؤال مفاده هل ينقطع الحوار بين علم النفس من المنظور الإسلامى وعلم النفس المعاصر ؟ ليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأن القطيعة بين المنظورين حتمية فاللغة النفسية مشتركة والإجراءات التجريبية والبحثية هى أدوات للمعرفة التى لا غنى عنها لعلم النفس أياً كانت تربته الثقافية بل من المتوقع أن يتهيأ لعلماء النفس الغربيين فرصة لكى يروا صوراً للظاهرات النفسية التى ليس لهم بها عهد.

---

[٢] محمد رشاد خليل : مرجع سابق، ص ١١٤ – ١١٥.

أما الحوار الحضاري أو الحوار مع الآخر وإتاحة الفرصة لتوسيع دائرة التفاهم وإبلاغ رسالة الإسلام إلى العالم وإيصال دين الله بأفضل الوسائل والمجادلة بالتالي هي أحسن مع مراعاة أدب الحوار وشرائطه فهو من الفروض الشرعية الكفائية التي تعتبر من مسؤولية الأمة جميعها ، إن الحوار مع الآخر وإتاحة الفرصة لتبادل الرأي للوصول إلى قناعات معينة أو للوصول إلى صيغ مشتركة للتفاهم والتعاون هو مطلب إسلامي وإحدى وسائل الدعوة والبلاغ المبين إذا توفر للحوار شروطه

إن معرفتنا بما عند الأمم الأخرى بأحوالها وتاريخها وتجاربها وأفكارها وعقائدها هو أمر ضروري لدعوتها للإسلام فالإسلام عالمي الخطاب وهم أمة الدعوة على كل حال فكيف يمكن أن يكون خطابنا الذي نحمله عالمياً ولا نفهم ما عند العالم .

إن الحوار الحضاري هو سنة من سنن الله في الكون له مقوماته وآلياته وأدواته وأهدافه وغاياته وأسلحته المتعددة فإن فهم

إدارة الحوار وكيفية التعامل معه لا يقل أهمية عن امتلاك أدواته ،وقد يكون من المفيد هنا أن نشير إلى أن الصراع أو التدافع أو التداول أو الحوار الحضاري سنة اجتماعية من سنن الله تعالى وقوانينه التي لا تتخلف ولا تتبدل. [1]

وإذا كانت الظروف التي أحاطت بالأمة الإسلامية قد فرضت عليها في فترة من الفترات تقليد ما جاء به الغرب فإننا يجب أن نعود اليوم إلى الأصول الثابتة التي يحفل بها ديننا الإسلامية ولا يعني ذلك أننا نعلن الحرب على الحضارة الغربية لأننا إذا أعلناها عليها إنما نعلنها في الواقع على أنفسنا وعلى مستقبل أمتنا وإنما نحن ندعو إلى تطويع هذه الحضارة لتناسب واقعنا وبدون هذا التطويع ستتحول هذه الحضارة – كجسم غريب – إلى عبء علينا كما هي اليوم بالفعل بعد أن كان مفروضاً أن تكون عوناً لنا .[2]

---

[1] أحمد القديدي : مرجع سابق – ص ١٠ .

[2] عبد الغني عبود : التربية الإسلامي والقرن الخامس عشر الهجري – دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٨٢م ، ص ٦ .

فالنظر في عند الآخرين والانتفاع به والأمة بما لها من سابقة حضارية يمكن أن نقول بأنها تمتلك الإمكان الحضاري وخميرة النهوض .

والحق أن الأمة لا تحرص على أصالتها ولا تحافظ على مميزاتها ولا تعني بالإبقاء على الصالح من عاداتها وتقاليدها أمة يصعب عليها ان تبقى ناهيك أن يكون لها شأن ومكان ومساهمة في الحضارة العالمية ، وهو يدعو إلى استيعاب لغة العصر وثقافته بالعلم والدين معاً ، إذ لا يمكن العيش على الفكر الغربي كاملاً بدون الاهتمام بمشكلات الواقع الإنساني المعاش كما صورها الدين الإسلامي وتدخل العلم في دراسة بعض جوانبها . [1]

---

[1] أحمد فؤاد باشا : فلسفة العلوم بنظرة إسلامية – دار المعارف – القاهرة – ط١ – ١٩٨٤م – ص ٥ .

وحتى يمكن أن ننمي في كياننا طاقات المعرفة وقدرات الإبداع لابد لنا من استيعاب المعارف الحديثة هضمها وتمثل طاقاتها المبدعة بشكل

سليم .[٢]

فتأصيل منهج فهم السنة وسبل الاستفادة منها في بناء الثقافة والحضارة الإسلامية المعاصرة أمر ضروري .

بالرغم من وجود هذا المنهج الذي ارتضاه الله لنا بين أيدينا ، والسبب في ذلك هو أننا نكتفي بالنقل عن الآخرين ولا نريد أن نسهم في الإبداع الحضاري بنصيب يتناسب مع مجدنا ومكانتنا في تاريخ العلم والحضارة .

وهذا يوضح أهمية تأصيل ثقافتنا الإسلامية والاسترشاد بها في تدريس العلوم المختلفة ، لأنها إكسير الحياة للأمة والمجدد والدائب

---

[٢] الوجيز في إسلامية المعرفة : سلسلة إسلامية المعرفة – المعهد العالي للفكر الإسلامي – ١٩٨٧ – ص ٥١ .

لطاقتها والباعث لها علي المشاركة في مقومات العصر كلها ، مع الحفاظ علي إنسانية الإنسان [٣].

إن المسلمين اليوم ما يزالون يمتلكون الخطاب الإلهي السليم دون سائر الأمم يمتلكون معرفة الوحي .

فلابد من جعل الوحي (القرآن والسنة) يتحول في حياتنا إلى طاقة متحركة .

لقد لجأ كثير من الفقهاء والمفكرين المسلمين منذ القرن الماضي وخصوصاً مع بدايات التغلغل الغربي الثقافي والتعليمي إلي العالم الإسلامي إلي الفتوى والدعوة إلي تكوين سياج من الحماية والتقوقع والعزلة درءاً لمخاطر هذا التغلغل الذي لم يملك المسلمون آنذاك البنى أو المؤسسات الدفاعية لمواجهته أوالحد من تأثيره فكانت الدعوة إلي الحماية الذات وتربيتها بعيداً من كل المؤثرات الخارجية [٤]

---

[٣] أحمد فؤاد باشا : مرجع سابق

[٤] طلال عتريسي : مرجع سابق ،ص٣٨٦.

وعليه نحن مع من يدعو إلي استيعاب لغة العصر وثقافته بالعلم والدين معاً إذ لا يمكن العيش على الفكر الغربي كاملاً بدون الاهتمام بمشكلات الواقع الإنساني المعيش كما صورها الدين الإسلامي [٢]والفكر الإسلامي حين يتفتح على المعاصرة لا ينسي أبداً قيمته وذاتيته التي لا تذوب أو تنصهر في معرض النقل والاقتباس فالأصالة لاتحد من المعاصرة والتجديد [٣]

النتائج :

١/ تعددت مسميات التأصيل الإسلامي للمعرفة فمنها (أسلمة العلوم) و(إسلامية المعرفة) و (التوجيه الإسلامي للعلوم) أو (توجيه العلوم الإنسانية وجهة إسلامية) ومن هذه العلوم علم النفس بكل فروعه والذي انبثق من أصول الإسلام ومفاهيمه العقدية وقد ظهر هذا المفهوم في نهاية القرن العشرين .

---

[٢] أحمد فؤاد باشا : مرجع سابق، ص١٨.

[٣] أنور الجندي : مرجع سابق ، ص ١٩

٢/ تباينت مواقف العلماء المسلمين من العلوم الغربية فمنهم من وقف منها موقفاً سلبياً وآخرين دعوا إلى التغريب والأخذ بكل أسباب الحضارة الغربية خيرها وشرها وفئة ثالثة دعت إلى التوفيق بين الحضارتين وهنالك فئة رابعة تدعو إلى الاحتفاظ بما جاء في الكتاب والسنة والاستفادة من إنجازات الغرب التي لا تتعارض مع الدين وبذلك تعددت المواقف .

٣/ نتيجة للتخبط الذي وقع فيه علماء النفس الغربيين في فهم النفس البشرية والأساليب القاصرة في فهم تلك النفس والفلسفة الخاطئة التي انتهجتها استدعى كل ذلك إلى تبني إسلامية المعرفة ؛ لأن الوحي مصدر من مصادر المعرفة .

٤/ تواجه علماء النفس المسلمين عدة أمور منها عدم المزاولة بين العلوم المعرفية والإسلامية وتعظيم التراث وعدم تعمق علماء المسلمين في مواد علم النفس الغربي وجهل البعض منهم بالمفهوم الإسلامي .

٥/ إن النتاج الفكري الغربي ليس كل ما فيه لا يصلح لنا بل علينا معرفة الأسس التي قام عليها علم النفس وموضوعاته ومحتوياته كل ذلك يساعدنا في معرفة وتحديد ما يتلائم مع عقيدتنا لذلك لا يعني بالضرورة رفض كل نظريات علم النفس الغربي وأن يظل الحوار الحضاري أو الحوار مع الآخرين قائماً وتوسيع دائرة التفاهم وإبلاغ رسالة الإسلام إلى العالم وذلك بأفضل الوسائل مع مراعاة أدب الحوار وإتاحة الفرصة لتبادل الرأي للوصل إلى تفاهم وتعاون مشترك في ضوء العقيدة الإسلامية .

التوصيات :

١- قيام كيان لتوحيد الرؤى بين علماء المسلمين في تبني الدعوة لقيام علم نفس إسلامي.

٢- نشر ثقافة الحوار مع الحضارات الأخرى .

٣- العمل على تأصيل وأسلمة فروع المعرفة الأخرى .

٤- العمل على نشر مفهوم تأصيل وأسلمة المعرفة عبر وسائل الإعلام المختلفة .

٥- توضيح أساتذة علم النفس لطلابهم بالجامعات لبعض الآراء أو المدارس الفكرية ومدى تطابقها أو تنافرها مع التوجه الإسلامي .

٦- الانتفاع من الإنتاج العلمي والمعرفي الغربي باعتباره إنتاجاً بشرياً وهو ملك مشاع للجميع .

٧- الانفتاح على الغرب بقصد عكس ثقافتنا وهويتنا للشعوب الأخرى .

المقترحات :

١/ إجراء دراسات في التأصيل لبعض المفاهيم في علم النفس .

٢/ إجراء دراسات مقارنة بين كتابات الفلاسفة والعلماء المسلمين في العصور السابقة عن النفس .

٣/ إجراء دراسات لإثبات سبق العلماء المسلمين في التطرق لمعرفة النفس في كتاباتهم .

٤/ القيام بدراسات بحثية في المفاهيم النفسية الحديثة بقصد اسلمتها .

٥/ القيام بدراسة عن كيفية وضوابط التأصيل الإسلامي .

المصادر و المراجع:

١- القرآن الكريم

٢- الاحاديث النبوية

٣- أحمد الجرموزي : شخصية وقدرات عقلية ، مركز التربية للنشر – صنعاء .

٤- أحمد القديدي : الإسلام وصراع الحضارات ، ط١ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، سلسلة كتاب الأمة ١٩٥٥م .

٥- أحمد عبد الرحيم نصر : إسللامية المعرفة ، الحاجز اللغوي ، مجلة تفكر ، معهد إسلام المعرفة ، المجلد ٩ ، العددان (١- ٢) جامعة الجزيرة ٢٠٠٨م .

٦- أحمد عزت راجح : أصول علم النفس ، ط١٠ ، المكتب الحديث ، القاهرة ، ١٩٧٦م.

٧- أحمد بن تيمية الفتاوي : ج١٠ – جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي – ط١ – الرياض – ١٣٨١هـ .

٨- أنور الجندي : قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٤م .

٩- أحمد فؤاد باشا : فلسفة العلوم بنظرة إسلامية – دار المعارف – القاهرة – ط١ – ١٩٨٤م .

١٠- الوجيز في إسلامية المعرفة : سلسلة إسلامية المعرفة – المعهد العالي للفكر الإسلامي – ١٩٨٧م .

١١- باقر شريف القرشي : النظام التربوي في الإسلام – دار التعارف للمطبوعات – بيروت ، لبنان – ١٩٧٩م .

١٢- روتر جوليان : علم النفس الأكلنيكى ، ترجمة عطية محمود ، دار الشروق ، ط٢ ، القاهرة ١٩٨٤م .

١٣- طه جابر العلواني : الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات وعلاج ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – واشنطون – ١٩٩٣م .

١٤- طلال عتريسي : ضالة المؤمن بين أسلمة المعرفة وعلوم الغرب – مجلة باحثات – العدد الثالث – المركز اللبناني للدراسات – بيروت – لبنان – ١٩٩٧م

١٥- شرف الدين على الطاهر: تأصيل المعرفة أسسه وأهدافه ، مجلة التأصيل – العدد السادس – الخرطوم – ١٩٩٨م .

١٦- صالح سليمان العمرو : التأصيل الإسلامي لفلسفة التربية – معهد البحوث العلمية – جامعة ام القرى – السعودية – ١٩٩٩م .

١٧- عبد الغني عبود : التربية الإسلامي والقرن الخامس عشر الهجري – دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٨٢م .

١٨- عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢م .

١٩- علاء الدين ناصر القبانجى : معالم علم النفس في القرآن الكريم ، مجلة النبأ ، العدد ٤٣ ، الاستشارات النفسية والسيكولوجية ، الكويت ، ١٤٢٥هـ .

٢٠- فتحي حسن ملكاوي : حوارات إسلامية المعرفة عرض وتحليل – مجلة إسلامية المعرفة – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – السنة السابعة – العدد الخامس والعشرون – ٢٠٠١م .

٢١- فؤاد أبو حطب : نحو وجهة إسلامية لعلم النفس ، بحث مقدم إلى ندوة علم النفس الإسلامى التى نظمها المعهد العالمى للفكر اللإسلامى بالاشتراك مع الجمعية العربية للتربية الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

٢٢- كمال إبراهيم مرسى : تعريفات الصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس سلسلة المنهجية الإسلامية ، ط١ ، ج٣ ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، هيرندن ، فرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٩٩٢م .

٢٣- ماجد عرسان الكيلاني : تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية – دار التراث – ط٣- المدينة المنورة – ١٩٨٧م .

٢٤- مالك بدرى : علم النفس الحديث من منظور إسلامى ، سلسلة المنهجية الإسلامية ، ج٣ ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ط١ ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، هيرندن ، فرجينيا – الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٩٩٢م .

٢٥- محمد أبو القاسم حاج حمد: إسلامية المعرفة ، المفاهيم والقضايا الكونية ، معهد إسلامية المعرفة، مجلة تفكر ، المجلد ٣ ، العدد ٢ ، ٢٠٠١م

٢٦- محمد المبارك : الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية ، دار الفكر ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٧٢م .

٢٧- محمد عطا مدني : تصميم حقيبة تعليمية وإنتاجها حول بعض المفاهيم في الجغرافيا الطبيعية للصف الأول الثانوي في ضوء آيات من القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الخرطوم – ٢٠٠٠م .

٢٨- محمد عمارة : أزمة الفكر الإسلامي الحديث ، دار الفكر ، ط١ ، بيروت – لبنان – ١٩٩٨م .

٢٩- محمد رشاد خليل : علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، دار القلم ، ط١ ، الكويت ، ١٩٧٨م.

٣٠- محمد عز الدين توفيق : التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط ١ ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٨م.

٣١- محمد محمود محمد : علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام ، دار الشروق للطباعة والنشر ، ط١ ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٤م.

٣٢- محمد عثمان نجاتى: منهج التأصيل الإسلامى لعلم النفس ، بحث مقدم لندوة بعنوان نحو علم نفس إسلامى ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

٣٣- مقداد يالجن : سياسات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون – دار عالم الكتب للطباعة والنشر – ط١ – الرياض /السعودية – ١٩٩٦م.

٣٤- منير شفيق : الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات ، دار النشر ، بيروت – ١٩٩١م .

٣٥- نزار العاني : محددات أولية لمنهجية أسلمة المعرفة – مجلة التجديد – السنة الثانية – العدد الثالث – الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا – ١٩٩٨م .

٣٦- نعمان جغيم : نظريات الفقه الإسلامي منهجية الاجتهاد ، مجلة إسلامية المعرفة ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، السنة الرابعة ، العدد الرابع عشر ، واشنطون ، ١٩٩٨م.

٣٧- هاشم جاسم السامرائى : علم النفس الإسلامى ، ط١ ، مركز عبادى للدراسات والنشر ، صنعاء ، اليمن .